جُمْهُورِيَّةُ العِرَاقِ

دِيوَانُ الوَقْفِ الشِيْعِيّ

عَدَدٌ خَاصٌّ
عَنِ العَلَّامَةِ الحِلِّيِّ قدس سره

تُرَاثُ الحِلَّة

مَجَلَّةٌ فَصْلِيَّةٌ مُحَكَّمَةٌ تُعْنَى بِالتُّرَاثِ الحِلِّيِّ

تَصْدُرُ عَنِ:

العَتَبَةُ العَبَّاسِيَّةُ المُقَدَّسَةُ

قِسْمُ شُؤُونِ المَعَارِفِ الإِسْلَامِيَّةِ وَالإِنْسَانِيَّةِ

مَرْكَزُ تُرَاثِ الحِلَّة

معتمدة لأغراض الترقية العلميّة

السنة (الثانية) / المجلَّد (الثاني) / العدد (السادس)

ربيع الثاني ١٤٣٩هـ / كانون الأوَّل ٢٠١٧م

العتبة العباسيَّة المقدَّسة. قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة. مركز تراث الحِلَّة.
تراث الحِلَّة : مجلَّة فصليَّة محكَّمة تُعنى بالتراث الحِلِّي / تصدر عن العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة قسم شؤون المعارف المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة. مركز تراث الحِلَّة. - الحِلَّة/ العراق : العتبة العباسيَّة المقدَّسة، قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة، مركز تراث الحِلَّة. ١٤٣٧ هـ = ٢٠١٦-
مجلَّد : جداول، صور طبق الأصل ؛ ٢٤ سم
فصليَّة. -السنة الثانية، المجلَّد الثاني، العدد الخامس (٢٠١٧)-
ردمد: 2412.9615
يتضمَّن مصادر.
النص باللغة العربيَّة ؛ ومستخلصات باللغة الإنجليزيَّة.
١ . العلَّامة الحِلِّيّ، الحسن بن يوسف ابن المطهَّر، ٦٤٨-٧٢٦ هجري--المؤلَّفات--دوريَّات.
٢. العلماء المسلمون (شيعة)--المؤلَّفات--دوريَّات. ٣. الحِلَّة (العراق)--تاريخ--دوريَّات.
ألف. العنوان

KBP370.I263 A8374 2017 VOL. 2 NO. 6

مركز الفهرسة ونظم المعلومات

جَوانبُ من الدَّرسِ الصَّوتيِّ عندَ العلَّامة الحِلِّيّ (ت ٧٢٦هـ)

Aspects of the Voice Lesson to Al-Allamah Al-Hilli (D. 726 H.)

أ. د. صباح عطيوي عبود

حيدر عبد الرسول عوض

جامعة بابل/كليَّة التربية للعلوم الإنسانيَّة

Prof. Dr. Sabah Atiwi Aboud

Haidar Abdul-Rasool Awad

University of Babylon- College of Education For Human Sciences

ملخَّص البحث

هـذا البحث يُعنى بالوقوف على جوانب من الدرس الصوتيّ عند العلَّامة الحِلِّيّ في كتابـه (نهاية المرام في علـم الكلام)، حاولنا فيه إظهار عناية هذا العالم بالصوت اللغويّ مفردًا ومركَّبًا، وقد انتظم على **مبحثين**: **الأوَّل**: في الأصوات المفردة، **والثاني**: في التشكيل الصوتيّ.

وقد أظهـر البحث أنَّ علماء الكلام كانت لهم عنايـة واضحة بالأصوات اللغويَّة؛ لارتباط ذلـك بأبحاثهم في علم الكلام؛ لأنَّ الصوت أسُّ بناء الكلام. وأظهر أيضًا أنَّ العلَّامة الحِلِّيّ قد استعمل مصطلحات استعملها المحدثون في أبحاثهم، فكان له ولغيره فضل السـبق في ذلك، فضلًا عن دراسـة المقطع الصوتيّ وأنواعـه وأحواله ممَّا يدحض مقولة: (أنَّ المحدثين هم الذين درسوا المقطع الصوتيّ بعد أن أهمله المتقدِّمون).

الكلـمات المفتاحية: الحركة، الحِلِّيّ، العلَّامـة، الصامت، الصوت، الضمَّة، الفتحة، الكسرة، المصوِّت، المقطع.

Abstract

This research deals with aspects of the audio lesson at the Al-Allamah Al-Hilli in his book (End of Maram in Theology).

In this research, we have tried to show the scientist's attention to the sound of language, singular and complex. **Two topics** were included: **First**: In Single Voices, and **Second**: In Vocal Composition.

The research has shown that speech scientists have a clear interest in linguistic voices, because of their association with their research in speech science, because the sound is the basis of speech construction, and it also showed that the Al-Allamah Al-Hilli used terms which are used by the modernists in their research. And he and others have the priority, in addition to studying the soundtrack and its types and conditions, which refutes the saying: (The modernists who studied the audio track after the applicants neglected).

Keywords: Motion, Al-Hilli, Silent, Sound, Fathah, Kasrah, Dammah, The Voice, The Syllable.

Fathah: The fathah [فَتْحَة] is a small diagonal line placed above a letter, and represents a short /a/ (like the initial sound in English word "up"). The word fathah itself [فَتْحَة] means opening and refers to the opening of the mouth when producing an /a/.

Kasrah: Similar diagonal line below a letter is called a kasrah [كَسْرَة] and designates a short /i/ (as in "Tim").

Dammah: is a small Curl-like diacritic placed above a letter to represent a short /u/ (and sounds like the 'oo' sound in the English word "took"). For example: [دُ] /du/.

مقدِّمة البحث

ليس من الغريب أن يُعنى علماء الكلام بالأصوات اللغويَّة؛ لأنَّ الصوت اللغويّ هو مادَّة اللغة الأولى، وأسُّ بنائها، ومنه يتألَّف الكلام ليخرج إلى الوجود دالًّا على المعنى، فيتشكَّل في سياقات وسلاسل منطوقة في لغة هي عامل من عوامل استمرار الحياة الإنسانيَّة؛ إذ لا يمكن أن يكون خلق الله لهذه الأجهزة الصوتيَّة في الإنسان أمرًا ثانويًا كما رأى الكثيرون[1]، إنَّما خلقها لتؤدِّي وظيفة كلاميَّة نطقيَّة لتدوم الحياة، ولك أن تتأمَّل من فَقَد لغته، كم يعاني من مشقَّة في إيصال فكرته من استعمال اليدين وغيرهما بالحركات المختلفة المتوالية، قصدَ إبلاغ رسالته.

لذلك كان لا بدَّ من درس هذه الأصوات، ومعرفة وظيفتها الأساسية، وكيفيَّة تأدية هذه الوظيفة، فانبرى العلماءُ منذ القِدَم إلى درس هذه الأصوات مفردةً ومركَّبةً في لغتهم؛ لمعرفة نظامها الصوتيّ، وبنائها الذي تنتظم فيه.

وقد كان للعلَّامة الحِلِّيّ (ت ٧٢٦هـ)[2]- وهو من علماء الكلام- إسهامٌ واضحٌ في ذلك لاحظناه في كتابه الموسوم (نهاية المرام في علم الكلام)؛ ليُبرهن هو وغيره على أنَّ «الدرس الصوتيّ العربيّ من أقدم الدراسات الصوتيَّة في العالم»[3]، ففاق في ذلك الغربيِّين باعترافهم أنفسهم بذلك، قال براجستراشر: «لم يسبق الغربيِّين في هذا العالم إلَّا قومان من أقوام الشرق، هما أهل الهند- يعني البراهمة- والعرب»[4].

والعلَّامة الحِلِّيّ بهذه الأفكار يُبرهن على أصالة النظريَّة الصوتيَّة العربيَّة، على

الرغـم ممَّـا فيها من ملاحظات، لكنَّ الذي يُسـجَّل لهذا العالم أنَّ أفـكاره تجاوزت ما له علاقة بالصوت اللغويّ إلى ما سواه من أصوات الآلات الصناعيَّة والأجسام المصوِّتة، فكانت عامَّة شاملة لما يتعلَّق بالصوت اللغويّ وغير اللغويّ.

لقد انتظم البحث على **مبحثين**: **الأول**: في الأصوات المفردة، والآخر: في التشكيلات الصوتيَّة التي سـمَّاها (المركَّبات)، وانتهى بخاتمة فيها أبرز ما توضَّح من دراسـاته هذه، لتُسـجِّل مـا أبدعته قريحـةُ علـماء العرب في الـدرس اللغويِّ، وإسـهاماتهم الواسـعة فيـه، معروضة على الدراسـة الصوتيَّة الحديثـة، لتنتهي إلى أنَّها سـابقة عليها، لا تختلف عنها إلَّا في بعض المسائل والجزئيَّات اليسيرة.

المبحث الأوَّل

في الأصوات المفردة

في الصوت وماهيَّته

ذَكَر العلَّامة الحِلِّيّ أنَّ «الصوت كيفيَّة محسوسة بحاسَّة السمع لا تحتاج إلى تعريف حدِّي ولا رسميّ لجلاء ماهيَّته»[٥]، فهو- على ما يظهر- لا يريد حدَّ الصوت، إنَّما ذَكَر مفهومه؛ لأنَّه محسوس، وما كان محسوسًا لا يمكن تعريفه؛ لأنَّه أظهر من أن يُعرَّف؛ لذلك غلَّط مَن جعله جسمًا ينقطع بالحركة، ويُسمع بانتقاله إلى الأذن، أو من جعله التموُّج الحادث المنتقل إلى الأذن، أو هو القرع والقلع، أو هو اصطكاك الأجسام، ممَّن جعله جسمًا، فردَّ عليه بأنَّ الأجسام ملموسة ومُبصرَة، والصوت ليس ملموسًا ولا مُبصَرًا، بل لو كان جسمًا لصحَّ أن يُبنى منه حائط.

أمَّا من جعله تموُّجًا؛ فلأنَّ التموُّج حركة، وهو مُبصَر، والصوت غير مُبصَر، بل ربَّما كان الصوت شديدًا ضرب الصِّماخ فأفسده، وهو في كلِّ هذا غير مُبصَر، ومثل ذلك يقال على القلع والقرع والاصطكاك.

وما ذكره من أنَّ الصوت كيفيَّة محسوسة بحاسَّة السمع عنى ما يعنيه علمُ الصوت الحديث الذي يرى أنَّ الصوت هو «اضطراب مادِّيٌّ في الهواء يتمثَّل في قوَّة أو ضعف سريعين للضغط المتحرِّك من المصدر في اتِّجاه الخارج، ثمَّ ضعف تدريجيٌّ ينتهي به إلى نقطة الزوال النهائي»[٦].

إنَّ اشتراط العلَّامة للسمع في الصوت يأتي من وظيفة السمع؛ إذ «هو الحاسَّة الطبيعيَّة التي لا بدَّ منها لفهم تلك الأصوات»[٧]؛ لأنَّ الصوت ظاهرة طبيعيَّة ندرك أثرها عن طريق السمع، منتقلًا من مصدره خلال الهواء الخارجيّ على شكل موجات صوتيَّة تصل إلى الأذن، ثمَّ إلى مخِّ الإنسان، كي تفسَّر تفسيرًا ربَّما كان أرضى ممَّا يُدرك بالنظر، إذ قد يقصر النظر في التعبير عن المعاني، لكنَّه بالسمع والتأمُّل يُفسِّر ما كان غامضًا.

ثمَّ ذكر العلَّامة الحِلِّيّ أنَّ الصوت يحدث من سببين: الأوَّل قريب، والآخر بعيد، فالقريب هو تموُّج الهواء، وليس هذا التموُّج حركة انتقال هواء واحد، بل هو شبيه بتموُّج الماء، ويرى «أنَّ تموُّج الهواء لازم من القرع والقلع»[٨].

أمَّا السبب البعيد، فهو سبب السبب الأوَّل، وجعله حادثًا من قرع أو قلع، مشترطًا أن يكونا بعنف؛ إذ مطلق القرع أو القلع قد لا يوجِب الصوت، كما لو قرع جسم ليِّن كالصوف مثلًا بقرعٍ ليِّنٍ لم يُحدث صوت، ومثله الشقُّ بيسر ولا صلابة بالمشقوق لم يكن للقلع صوت.

ومن هذا نجد أنَّ الصوت عنده يلزم لحدوثه **ثلاثة أمور**: القلع والقرع، وهذا مصدر الصوت، وتموُّج الهواء، وهو الوسط الناقل، وحاسة السمع والصِّماخ كما يُسمَّى، وهي جهاز الاستقبال المتمثِّل بالأذن الإنسانيَّة.

وهنا نسجل ما يأتي:

١. أنَّ ما رآه من أسباب حدوث الصوت لا يختلف عمَّا يراه علمُ الأصوات الحديث، وفيه «أنَّ العمليَّة الصوتيَّة تتضمَّن ثلاثة عناصر، هي: أ. وجود جسم في حالة تذبذب. ب. وجود وسط تُنقل فيه الذبذبات الصوتيَّة من الجسم المتذبذب. جـ. وجود جسم يستقبل هذه الذبذبات»[٩].

٢. أنَّ العلَّامة خلط بين الصوت العام والصوت اللغويّ، وعلم الأصوات الحديث يرى فرقًا بينها، فالصوت اللغويّ هو الأساس في الدراسات اللغويَّة الحديثة؛ بسبب كونه أساس العمليَّة النطقيَّة للإنسان، وما يشكِّله من أهميَّة لغويَّة تكمن في أنَّ معرفته تعني معرفة المعايير والخصائص النطقيَّة التي نعتمد عليها في تعيين أصوات اللغة ودراساتها وتصنيفها، وصولًا إلى دراسة بنية اللغة، وإيجاد «مجموعة من القواعد لها صفة القوانين الثابتة تتحكَّم بتصرُّفات الوحدات الصوتيَّة (الفونيمات)، وتحليل النظام الصوتيّ بدراسة العلاقات المختلفة بين الوحدات الصوتيَّة»[١٠]. لذلك حدُّوا الصوت اللغويّ بأنَّه: «أثرٌ سمعيٌّ يصدر طواعيَّةً واختيارًا من تلك الأعضاء المسمَّاة تجوُّزًا أعضاء النطق»[١١].

انتقال الصوت

يرى العلَّامة الحِلِّيّ أنَّ الصوت ينتقل عن طريق الهواء، فالصوت يُسمع عند وصول الهواء المنضغط بين القارع والمقروع الحامل للصوت إلى سطح الصِّماخ، ونسب هذا إلى الفلاسفة[١٢]، وساق أدلَّة لذلك، منها: أنَّ صوت المؤذِّن يميل من جانب إلى آخر عند هبوب الرياح الناقلة له، ويتبعها في جريانها من جهة إلى أخرى، ومن الأدلَّة أيضا: أنَّ من أخذ أُنبوبة طويلة ووضع طرفها على فمه وطرفها الآخر على سطح صماخ آخر وتكلَّم فيها بصوت عالٍ، فإنَّ ذلك الشخص يسمع صوته من دون الآخرين، وما كان ذلك إلَّا بفعل الهواء المتموِّج الحامل للصوت المنحصر في الأنبوبة، وهذا دليل على أنَّ الهواء المتموِّج مُحمَّل بالصوت، فهو وسيلة للانتقال، فلو كان هناك حاجز كثيف بين السامع والقارع لتعذَّر السماع وصار عسيرًا؛ بسبب عسر تموُّج الهواء الناقل للصوت.

ثمَّ ذكر أنَّ هذا التموُّج لا يُشترط فيه بقاء الهواء المتموُّج الحامل للصوت على شكله الأوَّل، بل الأمر هو انتقال هذا التذبذب في الهواء وصولًا إلى الصماخ، والعلماء عندما تمثَّلوا بتموُّج الماء المراد منه الكيفيَّة الحاصلة بسبب القرع وانبساطها في الماء الذي يلي موضع القرع.

ويمكن أن يحدث مثل ذلك عند قرع جسمٍ صلبٍ، عند ذاك يُسمع الصوت عن طريق اهتزاز الهواء الملامس للجسم، ومنه إلى الصِّماخ.

وانتقال الصوت هذا نجده عند علماء الصوت المُحدثين بتمامه، إذ اشترطوا أن يكون بين المصدر وأذن السامع وسط ناقل، وهو الهواء، فينتقل الصوت بشكل موجاتٍ صوتيَّةٍ تنتشر في الهواء بسرعة (٣٤٠م) في الثانية[١٣]، وهي عبارة عن مجموعة من الذبذبات المتعاقبة التي تنتج إحداها عن الأخرى، إذ «تنضغط على الذرَّات الهوائيَّة المجاورة لها، وتلك بدورها تنضغط على الذرَّات المجاورة لها، وهكذا»[١٤].

اختلاف الصوت

ذكر العلَّامة الحِلِّيّ «أنَّ الصوت يختلف تارةً بالجهارة والخفاء، وتارةً بالثقل والحدَّة»[١٥]، وهو يعني بالجهارة والخفاء علوّ الصوت وانخفاضه، ورأى أنَّ حدَّته تعود إلى صلابة المقروع، وملاسة سطحه، وقصر المنفذ، وضيق منفذ الهواء، وشدَّة التوائه فيحدث «تلزز[١٦] وقوَّة وملاسة سطح في الهواء المتموِّج وتراصُّ أجزاء من الهواء المتموِّج»[١٧]، أمَّا ثقل الصوت، فهو ما فقد ذلك.

وهذا الذي قاله في حدَّة الصوت تصوَّره د. إبراهيم أنيس[١٨] قناة مياه صغيرة ينحدر منها الماء في مجرى متنوِّع في أرضه، فمرَّةً يكون المجرى صخريًّا، أو حجريًّا، وثالثةً رخوًا سهل التآكل، وهو يشبه تمامًا مجرى النفس في أثناء الكلام، إذ يتنوَّع فيه

الصوت تبعًا لمجراه، إن ضاق أو اتَّسع أو سُدَّ بحائل، ثمَّ ينفذ الصوت بعد ذلك، وما من شكٍّ أنَّ الصوت كلَّما ضاق مجراه زادت قوَّتُه، وإذا انغلق مجراه غلقًا تامًّا ثمَّ انفتح، أحدث الصوت الشديد، لذلك تختلف الأصوات وتتنوَّع تبعًا لمجراها وما يُسهم من أعضاء الصوت في عملية إنتاجه، قال د. غانم قدوري: «ولا بدَّ لإنتاج الأصوات اللغويَّة من وجود شيئين: النفس، والعارض، أمَّا النفس فيتحصَّل من هواء الزفير، وأمَّا العارض فيمكن أن يحدث في أيِّ نقطة من آلة النطق، وقد يكون ذلك العارض على شكل قفل تامٍّ لمجرى النفس ثمَّ إطلاقه فجأة، وقد يكون على شكل تضييق لمجرى النفس، فيمَرُّ الهواء من خلال ممرٍّ ينتج عنه صوت مسموع»[١٩]، وتبعًا لهذه الأحوال تختلف الأصوات فيما بينها وتتنوَّع.

إنَّ اختلاف الأصوات عائدٌ إلى مجموعة أمورٍ، منها: علوُّ الصوت وانخفاضه، وهذا يرجع إلى اضطراب الهواء، فمرَّةً يكون قويًّا، وأخرى يكون ضعيفًا، يقع على طبلة الأذن، ومنها: درجة الصوت التي تعني أنَّ الذبذبات الصوتيَّة إذا كانت عالية صار الصوت دقيقًا، وإذا قلَّتِ الذبذبات وانخفضت صار الصوت سميكًا، ومنها: نوع الصوت، وهذا يعود إلى تنوُّع إنتاج الصوت تبعًا للحائل أو العارض[٢٠].

صدى الصوت

بحث العلَّامة الحِلِّيّ صدى الصوت، وقال عنه: «الصدى عبارة عن صوت يُسمع عقيب صوت بزمانٍ يسيرٍ جدًّا يحكيه بعينه»[٢١]، وأوضح أنَّ سببه يكمن في أنَّ القارع أو القالع إذا أحدث قلعًا أو قرعًا حصل من أثر ذلك تموُّج في الهواء، فإذا قاوم ذلك التموُّج شيء من الأجسام كالجدار الأملس أو الجبل، صرف هذا الحائل التموُّج إلى الخلف، فيحدث صوت على شكل الأوَّل وهيأته؛ لذلك فإنَّ الصدى هو صوتٌ متموِّجٌ راجعٌ مصطدمٌ بحائل يُعيق هذا الصوت.

وبـيَّن العلَّامة الحِلِّيّ أنَّ فاعل الصدى هو ليس الهواء المتموِّج المتوجِّه إلى ما يقاومه، بـل إنَّ الهواء المتموِّج أوَّلًا يُموِّج هواءً آخر يصطدم بالحائل ثمَّ يرجع التموُّج بهواءٍ آخر هو غير الهواء الأوَّل؛ لأنَّ الهواء المتموِّج أوَّلًا إذا صدمه ذلك الجسم الكثيف لم يبقَ على حاله المخصوص، بل يحدث تموُّجٌ ثانٍ في الهواء الراجع من الحائل.

ويرى أنَّ كلَّ صوت له صدًى، غير أنَّ بعض الأصوات لا يُسـمع صداها؛ بسبب أنَّ المسـافة بين المصوِّت والحائل قريبة، بحيث إنَّ الحسَّ بالصدى لا يقوى على السماع، فإذا بعُدت المسافة قوي الحسُّ على إدراك الصدى، وقد يكون الحائل صلبًا أملس، وهذا يقـوِّي عملية انعـكاس الصوت واصطدامه، لذلك يكون كثـيرًا في الحمَّامات، ويقلُّ في الصحراء؛ لأنَّ الحوائل منعدمة، فيكون الصوت منتشرًا متباعدًا.

تصنيف الأصوات

صنَّف العلَّامة الحِلِّيّ الأصوات المستعملة في اللغة على قسمين: صامتة ومصوِّتة[٢٢]، وهذا تصنيف المحدثين[٢٣] للأصوات بمصطلحاتهم، بناءً على الطبيعة الصوتيَّة للصوت اللغويّ، والصفة التي ينماز بها عند مرور النفس في مجرى الهواء، وهو بهذا التقسيم يكون قد سـبق المحدثين بمدَّة طويلة، فدحض مقولة بعضهم من أنَّ هذا التقسيم شيء جديد في علـم أصوات العربيَّة، وأنَّه جاء ترجمـةً لتصنيف الأصوات عند الغربيِّين، وما عبَّروا عنه بمصطلح (Consonants)، وهو الصامت، و(Vowels)، وهو المصوِّت[٢٤].

أوَّلًا: الأصوات الصامتة

وقد جعلها على قسـمين: قسـم لا يمكن تمديده، وآخر يمكن تمديده، والذي يبدو أنَّه قصد بما لا يمكن تمديده الأصوات الشـديدة، بدليـل ما ضرب لها من أمثلة، وهي: الباء، والطاء، والدال، والتاء، وهذه شديدة كلُّها.

والملاحَظ أنَّه كان يعي الفرق بين الحرف والصوت، فالحرف عنده جزء من الصوت وليس من هيأة الصوت العارضة، إنَّما هو هيأته المسموعة، وما تسميتها بالحروف إلَّا لأنَّها أطراف تحدُّ مسمَّياتها.

أمَّا ما يمكن تحديده، فقد جعله على قسمين: قسمٌ يمتدُّ به الصوت ويستطيل، وسمَّاه الحرف الزمانيّ في الحسِّ والحقيقة كالسين والشين، وقسمٌ يمتدُّ فيه الصوت ولكن في غاية الصغر، كالحاء والخاء، ولذلك هو عنده إنِّيٌّ في الحقيقة زمانيٌّ في الحسِّ، وهو يقصد بذلك الأصوات الرخوة التي تتكوَّن من اقتراب في نقطة معيَّنة في الجهاز الصوتيّ، فيُسمع للهواء المارِّ من الرئتين احتكاك مسموع يمتدُّ بزمن التصويت بالحرف.

لقد عرَّف المحدثون الصامت بأنَّه: «الصوت المجهور أو المهموس الذي يحدث في أثناء نطقه اعتراض لمجرى النفس في مخرج الصوت اعتراضًا كاملًا، أو اعتراضًا جزئيًّا يؤدِّي إلى حدوث احتكاك مسموع»[٢٥].

أحكام الصوامت

ذكر العلَّامة الحِلِّيّ مجموعة من الأحكام تتعلَّق بالصوامت، هي في مجملها صفات وأحوال لها، وهي:

١. صوامت العربيَّة المستعملة هي حروف التهجِّي، أمَّا اللغات الأخرى فلها صوامت خاصَّة بها؛ لذلك فهي غير محصورة ولا متناهية في اللغات، «فلا دليل قاطع على حصر الحروف في عدد معيَّن، بل ولا على تناهيها، فجاز أن تكون غير متناهية»[٢٦]، وهذا تصوُّر معرفيٌّ من العلَّامة للغات الأخرى والصوامت المستعملة فيها؛ لأنَّ اللغات الإنسانيَّة قد تشترك في بعض الأصوات، ولكنَّها تفترق في قسم منها، لذلك فأنظمة اللغات وبناؤها مختلف بينها.

٢. من صفات الصوامت أنَّها مختلفة فيما بينها، وهذا الاختلاف إمَّا ذاتيٌّ أو عرضيٌّ، «فكلُّ ما يختلف مخرجه فإنَّ فيه اختلافا ذاتيًّا»[٢٧]، وجعل من ذلك الحاء والجيم والتاء والدال، وما من في شكٍّ أنَّ التاء والدال من مخرجٍ واحد، ولكنَّ همس التاء وجهر الدال جعل من الحرفين مختلفين، وهو قد غفل عن ذلك؛ لأنَّه جعل لكلٍّ منها مخرجًا، وربما كان يقصد الثاء، فهي من مخرجٍ آخر.

أمَّا الاختلاف العرضيّ فيعود عنده إلى ثلاثة أمور، هي:

١. تحرُّك أحدهما وسكون الآخر.

٢. أن يكونا متحرِّكين، ولكنَّ حركة أحدهما مخالفة لحركة الآخر.

٣. اختلافهما بالجهارة والخفوت.

والعلَّامة نظر إلى ذات الحروف في التفريق بينها؛ إذ جعل الحركة عارضة فيه، وهي التي تفرِّق بين الحروف، فمنها ما هو متحرِّك، ومنها ما هو ساكن، والمتحرِّك قد يتحرَّك بحركة لا تشبه حركة الآخر، فضلًا عن علوِّ الصوت وخفوته.

والدرس الصوتيُّ الحديث يرى أنَّ حال الحرف المتحرِّك غير حال الحرف الساكن، فالمتحرِّك هو صامت متلوٌّ بمصوِّت قصير يُهيِّؤه للاتِّصال بالصامت الذي يليه، وقديمًا كان ابن جنِّيّ يرى أنَّ الحركة تقلق الحرف عن موضعه وتجذبه إلى الحرف الذي بعده[٢٨]، وهذا قريب ممَّا قاله هنري فليش عند كلامه على الحركة، فهي: «ليست سوى تكيُّف في مخرج الصامت مع المصوِّت التالي له، والذي سوف ينطق به»[٢٩]، فالصامت يتكيَّف مع المصوِّت بعده، فيكون في حال هي غير حاله، وهو خالٍ من المصوِّت، وهذا التغيير أحدثه المصوِّت القصير الذي بعده[٣٠]؛ لذلك يرى العلَّامة الحِلِّيّ أنَّ «الصامت يصفو عن الشوائب ويظهر جليًّا عند الإسكان، أمَّا عند الحركة، فإنَّه يمتزج بحركة شيءٍ ممَّا

بعده»[٣١]، أمَّا إذا تنوَّعت المصوِّتات بعد الصامت، فما من شكٍّ أنَّ حال الصامت تتنوَّع بفعل تنوُّعها هذا، وهذا ما عناه العلَّامة الحِلِّيّ بالاختلاف العرضيّ، نظرًا لعروض الحركة فيه.

«لا يمكننا النطق بحرفين من هذه الحروف دفعة واحدة من مخرج واحد»[٣٢]؛ والسبب في ذلك صعوبة نطق الحرفين؛ لذلك يعمد العربيُّ إلى القلب، أو الإبدال فيما تقارب وتدانى من الحروف، قال ابن جني: «أصل القلب في الحروف إنَّما هو فيما تقارب منها، وذلك الدال والطاء والتاء... وغير ذلك ممَّا تدانت مخارجه»[٣٣].

ليس المقصود بالحركة والسكون في الحرف أنَّ الحرف يتحرَّك أو يسكَّن في ذاته؛ لأنَّ الحركة والسكون من صفات الأجسام، فمن الإحالة أن تعرض للهيئات العارضة للصوت، إنَّما المقصود أنَّه يوجد عقيب الصامت مصوِّت مخصوص به، وهذا يعني نفي الحركة والسكون عن الحرف، إذ هما من صفات الأجسام، ولا جسم للصوت كي يتحرَّك أو يُسكَّن، وما مجيء الحركة بعد الحرف إلَّا لتهيُّئه إلى حال الاتِّصال بالصوامت الأخرى، لينسجم بناء المفردة، إذ «تمتزج الصوائت بأطراف هذه الأصوات... لتخفِّف كثيرًا من الشدَّة والجفاف، وتُضفي بالتنويع والتنغيم ألوانًا من التعديل وتحقيق الانسياب اللطيف للإيقاع المركَّب في مقاطع صوتيَّة متوالية»[٣٤].

رأى العلَّامة أنَّ «الابتداء بالصامت الساكن محال للاستقراء، ومنهم من جوَّزه»[٣٥]. ومسألة الابتداء بالساكن بحثها علماء العربيَّة القدماء والمُحدثون، فقال ابن السراج: «كلُّ كلمة تبدأ بها من اسم أو فعل أو حرف تبتدئ به وهو متحرِّك ثابت في اللفظ»[٣٦]، ولكنَّهم اختلفوا في جوازه من عدمه، قال الرضي: «الأكثرون على أنَّ الابتداء بالساكن متعذِّر، وذهب ابن جني إلى أنَّه متعسَّر لا متعذِّر، قال: يجيء ذلك في الفارسيَّة نحو: شْتَرْ وسْطَامْ، والظاهر أنَّه مستحيل، ولا بدَّ من الابتداء بمتحرِّك، ولـمَّا كان ذلك المتحرِّك

شْـتَرْ وسْـطَامْ في غاية الخفاء- كما ذكرنا- ظنَّ أنَّه ابتدئ بساكن، بل هو معتمد على قبل ذلك الساكن الأوَّل بكسرة خفيّة، وللطف الاعتماد لا يبين»[٣٧].

والـدرس الصوتي الحديث يـرى أنَّ الأمر يعود إلى الأنظمـة الصوتيَّة في اللغات، فبعض اللغات يمكـن فيها الابتداء بصامتين أو ثلاثة صوامت، كما في كلمة (Spring) الإنكليزيَّة، يقول ماريوباي: «ليس هناك أيّ صوت أو تجمُّع صوتيٍّ في أيّ لغة لا يمكن أن يكتسـب الأجنبيُّ نطقـه الأجنبيَّ شرط توفُّر القدر الـضروريّ من الوقت، ووجود الانتباه الكافي، وبذل الجهد المطلوب»[٣٨].

أمَّـا في العربيَّة فالنظـام الصوتيّ فيها صـارم «يفرض على العـربيّ أن يبدأ بصامت واحد لا صامتين، لهذا يجد العربيُّ الذي لم يكن جهازه الصوتيّ مدرَّبًا تدريبًا كافيًا للنطق بمجموعـة الصوامـت في أوَّل الـكلام صعوبة في نطقهـا، بل يحسُّ بالتعـب إلى أن يتمَّ التحوُّل الصوتيُّ»[٣٩].

ثانيًا: الأصوات المُصوِّتة

حـدَّ العلَّامة الحِـلِّيّ المصوِّتات ليخرج منها الصوامت بقولـه: «إنَّها هيئات تعرض للأصوات يتميَّز بها الصوت عن أصوات أخرى تساويه في الحدَّة والثقل»[٤٠]، ثمَّ ذكر أنَّها «في لغة العرب حروف المدِّ واللين، وهي ثلاثة لا غير: الألف والياء والواو، ولا يمكن الابتداء بها»[٤١]، فهو قد رصد هذه الأصوات مبيِّنًا عددها، وسمتها، وهي أنَّها لا يمكن الابتداء بها، وتسميتها، وهي عند علماء العربيَّة كذلك[٤٢].

أحكامها

ذَكَر العلَّامة الحِلِّيّ جملة من أحكام المصوِّتات، وهي:

١. «أوسـع المصوِّتات الألف ثمَّ الياء ثـمَّ الواو؛ لأنَّ ذلك معتـبر بمقدار انفتاح

الفم»[٤٣]، فهو قد وضع تدرُّجًا في سَعة المصوِّتات، وجعل الألف أوسعها، وهو بذلك لا يخرج عمَّا قرَّره علماء العربيَّة القدماء، قال سيبويه: «وهذه الثلاثة أخفى الحروف لاتِّساع مخرجها، وأخفاهنَّ وأوسعهنَّ مخرجًا الألف ثمَّ الياء ثمَّ الواو»[٤٤]، بيد أنَّ الأمر لا يعود إلى انفتاح الفم، كما ذكر العلَّامة، إنَّما يعود إلى سعة المخرج؛ إذ إنَّ هذه الأصوات متَّسعة المخارج؛ لأنَّها لا تصادف عند التصويت بها أي عائق أو عارض يثنيها عن امتدادها كما في غيرها من الأصوات التي تنشأ أجراسها نتيجة اعتماد الأعضاء على نقطة أو حائل أو عائق يحدث عند التصويت بها[٤٥]، أمَّا كون الألف أوسعها؛ فلأنَّ النطق بـ«الألف تجد الحلق والفم معها منفتحين غير معترضين على الصوت بضيق أو حصر»[٤٦]، وهو ما عليه الدراسة الصوتيَّة الحديثة[٤٧].

٢. جعل العلَّامة الحِلِّيّ للحركات القصيرة مراتب متدرِّجة، فقال: «أثقل الحركات الضمَّة؛ لأنَّ حصولها إنَّما يكون بفعل العضلتين الصلبتين الواصلتين إلى طرفي الشفتين، ثمَّ الكسرة؛ لأنَّه يكفي فيها العضلة الجاذبة الواحدة، ثمَّ الفتحة التي يكفي منها عمل ضعيف لهذه العضلة»[٤٨].

وترتيب العلَّامة هذا عليه علماء العربيَّة القدماء[٤٩]، والدراسة الصوتيَّة الحديثة[٥٠]، إذ ثبت أنَّ النطق بالضمَّة يتطلَّب جهدًا أكبر من أُختيها؛ لأنَّ النطق بها يستلزم ارتفاع مؤخَّرة اللسان، مع استدارة الشفتين، وتذبذب الوترين الصوتيَّين، في حين يرتفع مقدَّم اللسان من دون استدارة الشفتين عند النطق بالكسرة، أمَّا نطق الفتحة فالأمر فيها أسهل من ذلك بكثير، إذ لا علاج على اللسان لها، فلا يبذل في إخراجها جهدًا، كما في الضمَّة والكسرة، سوى تذبذب الوترين، الأمر الذي يجعل هذه الأصوات مرتَّبة بهذا الترتيب.

٣. ذهب العلَّامة الحِلِّيّ إلى أنَّ الحركات أبعاض حروف المدِّ واللين، فالضمَّة جزء من الواو، والكسرة جزء من الباء، والفتحة جزء من الألف، واستدلَّ على ذلك بأمرين: الأوَّل: قابليَّة المصوِّتات للزيادة والنقصان، وما كان كذلك فله طرفان، وليس هنا طرف في النقصان إلَّا هذه الحركات. والثاني: لو لم تكن الحركات بعضًا من المصوِّتات؛ لما حصلت المصوِّتات بتمديد هذه الحركات[٥١]، وبيَّن أنَّ الحركة لو كانت مخالفة لهذه المصوِّتات؛ للزم عند ذكر المصوِّت الإتيان بحرف صامت آخر يكون تبعًا له، وليس الأمر كذلك بشهادة الحسِّ.

وهذا الذي قاله العلَّامة نجده عند علماء العربيَّة القدماء، قال الرضيّ: «إنَّ الحركة في الحقيقة بعض حرف المدِّ المتحرِّك بلا فصل، فمعنى فتح الحرف الإتيان ببعض الألف عقيبها، وضمّها الإتيان ببعض الواو عقيبها، وكسرها الإتيان ببعض الياء بعدها»[٥٢].

وهذا الأمر قرَّرته الدراسة الصوتيَّة الحديثة التي ترى أنَّ الألف تعدل فتحتين، وأنَّ الواو المدِّيَّة تعدل ضمَّتين، وأن الياء المدِّيَّة تعدل كسرتين[٥٣].

٤. ذهب العلَّامة الحِلِّيّ إلى أنَّ المصوِّتات ينتهي تمديدها إلى الهمزة، وأوضح ذلك بأنَّ «الصوت لا يتولَّد من حركة الانبساط الحاصل باستدخال النسيم، بل من حركة الانقباض الحاصل من إخراج الهواء الدُّخَانيّ، ولذلك الانقباض حدٌّ معيَّن، إذ لا يمكن إخراج كلِّ ما في الرئة من الهواء؛ وإلَّا لخرج معه الروح»[٥٤]؛ لأنَّ إخراج الهواء كلِّه يؤدِّي إلى انقباض النفس وانقطاعه، وهذا إحساس صوتيٌّ عميق بماهيَّة التصويت الإنسانيّ، وهو بذلك يفرِّق بين إخراج النفس للتنفُّس وإخراجه للتصويت، وعند إخراجه للتصويت يتوزَّع على مقاطع الكلام المنطوق؛ لذلك لا يفرَّغ الهواء في الرئة كلُّه.

أمَّا انتهاء التصويت بالهمزة، فهذا يعني أنَّ أصوات المدِّ هي تيَّار هوائيٌّ غزير يخرج من الرئتين يتذبذب معه الوتران الصوتيَّان، وإيقاف هذا التيَّار المتدفِّق عند الانتهاء من التصويت يكون عن طريق غلق الوترين الصوتيَّين غلقًا تامًّا، وهما موضع الهمزة؛ لذلك تتولد الهمزة بانقضاء التصويت هذا[٥٥].

١. يرى العلَّامة الحِلِّيّ أن الصامت المتحرِّك سابق على الحركة، واستدلَّ على ذلك **بأمرين: الأول**: أنَّ الصامت البسيط آنيُّ الحصول، أمَّا الحركة فهي حادثة زمانيَّة بعد حصول الزمان. و**الأمر الآخر**: أنَّ الحركة لو كانت سابقة، لكان المتكلِّم غنيًّا بالحركة عن التكلُّم بالحرف؛ لأنَّ السابق غنيٌّ عن المسبوق، والمتكلِّم بالصوت ابتداءً محال؛ فهو غير سابق[٥٦]، ثمَّ ذكر احتجاج ابن جنِّيّ بالإدغام والحلول.

وهذه المسألة شغل بها علماء العربيَّة القدماء[٥٧]؛ لأنَّهم تصوَّروا أنَّ الحرف إمَّا أن يكون ساكنًا أو متحرِّكًا، والساكن عندهم ما أمكن تحميله من الحركات الثلاث، فهو سابق حامل لها.

أمَّا الدرس الصوتيُّ الحديث فيرى أنَّ الحركات هي مصوِّتات قصيرة مجهورة مستقلَّة عن الصوامت، غير أنَّها عندما تُتَكَلَّم في السلسلة الكلاميَّة المنطوقة تتداخل وتتَّصل فيما بينها اتِّصالًا وثيقًا، بحيث إنَّ أعضاء النطق تبدأ بالتهيُّؤ للصوت الثاني قبل الفراغ من نطق الصوت الأوَّل؛ لأنَّ عملية النطق عملية سريعة جدًّا بحيث لا تدع فرصة لنطق الصوت مستقلًّا، ثمَّ البدء بنطق صوت يليه، وذلك لشدَّة اتِّصال الأصوات المتجاورة، ممَّا ينجم عنه تأثُّر الأصوات بعضها ببعض ضمن السلسلة الكلاميَّة المنطوقة[٥٨]، فليس لها حال أو محلٌّ أو تابع متبوع، بل لكلٍّ وظيفة نطقيَّة يقوم بها ضمن النظام الصوتي للغة.

المبحث الثاني

في التشكيل الصوتيّ

المركّبات

بحث العلَّامة المركّبات- وهو يقصد تأليف الكلام- في جهتين، هما: الكميَّة والكيفيَّة.

أ. الكميَّة:

جعل العلَّامة أعدل الكلمات ما تركَّب من ثلاثة أحرف؛ لأمرين: الأوَّل: أنَّ «الكلام إنَّما يتمُّ بالحركة، وهي إنَّما تتمُّ بأمور ثلاثة: المبدإ، والوسط، والنهاية، وهذه الأشياء حاصلة في الفعل في الثلاثيَّات، أمَّا الثنائيَّات فإنَّها ناقصة، وما فوق الثلاثة كثرة زائدة»(٥٩). والأمر الآخر: أنَّ الحرف المبدوء به لا يكون إلَّا متحرِّكًا، والموقوف عليه لا يكون إلَّا ساكنًا، «وبين المتحرِّك والساكن تنافر، فلا بدَّ من متوسِّط بينهما يكون معدِّلًا بينهما، فإذن الاعتدال إنَّما يتمُّ بهذه الثلاثة»(٦٠)، وما قاله العلَّامة عليه علماء العربيَّة في تأليف المفردة؛ إذ يتألَّف أقلُّها من ثلاثة أحرف، حرف مبدوء به، وحرف يُوقف عليه، وآخر يُحشَى به، ولا يكون الأوَّل إلَّا متحرِّكًا؛ لأنَّهم لا يبدؤون به بساكن. أمَّا الموقوف عليه فهم يميلون إلى إسكانه، وهذا هو الجذر الذي يحمل دلالة المفردة المركزيَّة، وما يُزاد عليه هو بمثابة توجيه لهذه الدلالة، يستعين به المتكلِّم لينقل الدلالة إلى حيث يستعمل من أغراض.

ب. الكيفيَّة:

تطرَّق العلَّامة إلى تركُّب الحرف مع الحرف، ومع الحركة، ومع السكون، ورأى أنَّ ذلك كان بحسب النظر إلى الحروف من حيث حالها، ولكنَّها قد تتغيَّر بحسب الأمزجة والأهوية، وهذا يعني أنَّه قسم ذلك تقسيمًا نظريًّا مجرَّدًا.

إنَّ هـذا التركُّب قـد يكون متنافرًا، وقد يكون متلائمًا، وقد أرجع سـبب التنافر في الحـروف المتماثلة إلى كثرة الأفعـال[٦١]، والمقصود بكثرة الأفعـال: إنَّ الحرفين المتماثلين عند النطق بهما يبذل الإنسان جهدًا كبيرًا لإخراجهما؛ بسبب التقارب، فهو عندما ينتهي مـن نطـق الأوَّل ينطق الثـاني القريب منه بلا مهلة بها يتكيَّف اللسـان، وفي هذا مشـقَّة وجهـد كبير، يؤدِّي إلى عسر النطق بها عند التكلُّم. وقد جعل العلَّامة هذا التركُّب على أربعة أقسام، هي:

١. مـا كان متقاربًا في المخرج، وقد خصَّها بالحـروف الصلبة، والصلبة عنده هي الأصوات الشـديدة، وهذا القسم من أشدِّ الأقسـام تنافرًا؛ لأنَّ نطقها يكون من منطقة واحدة، فيكون «الفاعل لحبس الهواء الفاعل لها عضلة واحدة، فإذا كانـت الكلمة مركَّبة من أمثـال هذه الحروف لم يمكن التكلُّـم إلَّا بأن يتوارد على العضلة الواحدة أفعال كثيرة شاقَّة، وذلك يُوجب ضعفها وكلالها، فلهذا يعسر التكلُّم بأمثال هذه الكلمات»[٦٢].

٢. ما كان متباعدًا في المخرج، وقد خصَّه بالحروف الرخوة، وهذه الحروف تقتضي سـهولة في نطقها؛ بسـبب رخاوتها وتباعدها في المخارج، وما من شـكٍّ في أنَّ الأصوات الرخـوة أيسر من الأصوات الشـديدة؛ لأنَّ التصويت بالشـديدة يسـتدعي انطباق العضوين انطباقًا تامًّا في منطقـة معيَّنة من جهاز التصويت،

يعقبه انفتاح مفاجئ، وهذه العمليَّة أشقُّ وأعسر من عملية الاحتكاك الَّتي تُنتج الأصوات الرخوة الَّتي يتقارب فيها العضوان تقاربًا يُسمع من الهواء المصطدم بهما احتكاك مسموع واضح، وهذه العملية أيسر من سابقاتها في الجهد المبذول، فضلًا عن فضيلة تباعد المخارج التي ذكرناها آنفًا.

٣. الحروف السهلة المتقاربة، ويقصد بها الأصوات التي تتقارب في مخرجها، ولكنَّها تختلف في صيغتها، وهي سهلة في ذاتها.

٤. الحروف الصلبة المتباعدة في مخارجها.

أما تركُّب الحركات، فالأمر يعود إلى الحركة نفسها، فهي إمَّا ثقيلة، وإمَّا خفيفة، وتركُّب الثقيلة ثقيل وتركُّب الخفيفة خفيف.

أمَّا تركُّب السكون، فقد مُنع ذلك؛ بسبب عدم اجتماع صامتين ساكنين، إلَّا إذا كان الأوَّل مصوِّتًا طويلًا، والثاني صامت، وهو مُجمع عليه، غير أنَّه رأى أنَّ الجمع بين الساكنين في الوقف سائغ؛ «لأنَّ الصامت الأخير تشوبه حركة مختلسة»[٦٣]، فهو يتصوَّر أنَّ الراء في (بَحْرْ) مثلًا موقوفًا عليها فيها شيء من التحريك، أو فيها حركة مختلسة، وربَّما كان يقصد روم الحركة عند الوقوف عليها؛ لأنَّ من العرب من يقف بروم الحركة، وهي حركة ضعيفة مختلسة، كأنَّها بقايا حركة قصيرة.

أمَّا تركُّب الحركة بالنسبة إلى السكون، فرأى أنَّ الحركة كلَّما كانت أخفَّ كانت أقرب إلى السكون، وهذا إحساس بخفَّة الحركة التي جعل نظيرتها السكون، والسكون هو انعدام الحركة؛ لذلك عدَّ علم اللغة الحديث السكون «ظاهرة سلبيَّة نطقًا، إيجابيَّة عملًا ووظيفةً»[٦٤]، فالسكون له وظيفة في النظام اللغويّ، لكنَّه منعدم في التصويت والنطق.

المقطع الصوتيّ

يبدو أنَّ علماء الكلام كانوا على معرفة تامَّة بمفهوم المقطع الصوتيِّ وبنيته وأنواعه، على العكس من علماء اللغة، إذ «لم يعنَ اللغويُّون العرب وعلماء التجويد بالمقطع الصوتي»[٦٥].

فهذا العلَّامة الحِلِّيّ يذكر المقطع الصوتيَّ عند كلامه على القول، والقول عنده مركَّب من مقاطع تؤلِّف بمجموعها أجزاءه، ويمكن أن نجد بحثه في المقطع على ما يأتي:

مفهوم المقطع الصوتيّ:

يبدو أنَّ العلَّامة الحِلِّيّ قد حاول أن يضع عبارة يحصر فيها مفهوم المقطع، وقد نفهم منها أنَّه حدٌّ للمقطع الصوتيِّ، فقال: «إنَّ المقطع هو أقل ما يمكن أن يتفوَّه به تامًّا من الأصوات»[٦٦]، وهذه العبارة نفهم منها أيضًا أنَّ المقطع: هو مجموعة من الأصوات تؤلِّف أقل وحدة صوتيَّة منطوقة في الكلام بدلالة الكلمات: أقل- يتفوَّه- تامًّا.

وعلماء الأصوات المحدثون[٦٧] يجمعون على أنَّ المقطع مجموعة أصوات، أو وحدة صوتيَّة تنطق دفعة واحدة، وهي أقلُّ وحدة صوتيَّة تؤلِّف تجمُّعًا من تجمُّعات السلسلة الكلاميَّة المنطوقة التي يحدثها ضغط الحجاب الحاجز على الصدر؛ لذلك يمكن أن نصوغ عبارة العلَّامة الحِلِّيّ- المذكورة آنفًا- بعبارة: (أصغر وحدة صوتيَّة منطوقة في السلسلة الكلاميَّة) لتكون حدًّا للمقطع.

تكوينه:

قال العلَّامة الحِلِّيّ: «وهو إمَّا صامت- وهو ما يمكن الابتداء به، وهي الحروف الصحيحة- مقرون بمصوِّت، وهو ما لا يمكن الابتداء به»[٦٨]. فالمقطع مكوَّن من صامت مقرون بمصوِّت لا يكون إلَّا بعده، وهو بذلك يعلم يقينًا أنَّ المقطع يبدأ بصامت

متلوّ بمصوِّت، وهذا هو تكوين المقطع عنده وعند المحدثين[٦٩].

أقسامه:

ذَكَـر العلَّامة الحِلِّيّ نوع المصـوِّت في المقطع، وتبعًا لذلك يتنـوَّع المقطع، فقال عن المصـوِّت: إنَّه «إمَّا مقصور: هو الواقع في أقصر زمان يمكن الانتقال فيه من صامت إلى صامت، وهو الفتحة والضمَّة والكسرة، أو ممدود: وهو الواقع في ضعف ذلك الزمان، كإشـباعات الحركات الثـلاث»[٧٠]. فالمقطع عنده نوعان: مقصـور: وهو صامت متلوٌّ بمصوِّت قصير، وممدود: وهو صوت متلوٌّ بمصوِّت طويل، والأوَّل يسـمِّيه المحدثون المقطـع القصير، والثاني المقطع الطويـل المفتوح، وقد اقتصر العلَّامة في ذِكره على هذين القسـمين دون الأقسام الأخرى، وربَّما كان ذلك بسبب أنَّ هذين المقطعين هما من أكثر المقاطع شيوعًا في العربيَّة؛ لأنَّهما مقطعان حرَّان غير مقيَّدين بقيد كالمقاطع الأخرى.

أحواله:

ذَكَر العلَّامة الحِلِّيّ أنَّ المقاطع تتركَّب على وجهين: الأوَّل: أن يُذكر المقطع المقصور ثـمَّ يُردف بالمقطع الممدود، مثل (عـلى)، والآخر: أن يُذكر الممدود ثمَّ يُردف بالمقصور، مثـل (كان)[٧١]، فالمقاطـع تتركَّب في الكلـمات، وقد لاحظ أنَّ الوجـه الأوَّل يتقدَّم فيه المقطـع القصير على المقطع الطويل المفتوح، كما في مثاله (على) وهي:/ ع ـــَ/ ل ـــً/ . أمَّا الوجه الثاني ففيه يتقدَّم المقطع الطويل المفتوح على المقطع القصير، ومثَّل له بـ(كان)، وهي:/ ك ـــً/ ن ـــَ/ .

وما من شـكٍّ في أنَّ هذا إدراك لماهيَّة المقاطع وأنواعها وهيئاتها وتركيبها في الكلام شـابه تمامًـا ما هو عليـه الدرس الصوتيّ الحديـث[٧٢]، الـذي درس المقاطع وأفاض في أقسامها وسماتها.

الخاتمة

اتَّضح- بعد هذه الوقفة مع جوانب من الدرس الصوتيِّ عند العلَّامة الحِلِّيّ- أنَّ علماء الكلام- والعلَّامة منهم- قد عنوا بالدرس الصوتيّ كثيرًا؛ لاتِّصال أبحاثهم الكلاميَّة به؛ لأنَّ الصوت اللغويّ أسُّ الكلام؛ لذلك درسوا الصوت وانتقاله واختلافه وصداه، فكان لهم فضل السبق على المحدثين في استعمال الاصطلاحات الصوتيَّة من مثل: الصامت والمصوِّت والمقطع والإشباع وغير ذلك، فضلًا عن معرفة تأليف الكلام وأنواع المقاطع فيه وتركُّب الحركات والحروف في الكلام، ممَّا يعني أنَّ هؤلاء العلماء كانوا على معرفة تامَّة ببنية اللغة ونظامها الصوتيّ وغير الصوتيّ.

هوامش البحث

(١) يُنظر: مناهج البحث في اللغة: ٦٥، ودراسة الصوت اللغويّ: ٧٩.

(٢) يُنظر في ترجمته: رجال ابن داود: ١١٩، والوافي بالوفيات: ١٣/ ٨٥، ولسان الميزان: ٢/ ١٧، وأعيان الشيعة: ٥/ ٣٩٦، والأعلام: ٢/ ٢٢٧، وموسوعة طبقات الفقهاء: ٨/ ٧٧.

(٣) المدخل إلى علم أصوات العربية: ٤٠.

(٤) التطور النحويّ: ١١.

(٥) نهاية المرام: ١/ ٥٦٠.

(٦) دراسة الصوت اللغويّ: ٤.

(٧) الأصوات اللغويَّة، د. إبراهيم أنيس: ١٤.

(٨) نهاية المرام: ١/ ٥٦٣.

(٩) دراسة الصوت اللغويّ: ٤.

(١٠) منهج البحث اللغويّ بين التراث وعلم اللغة الحديث: ٦٠.

(١١) علم الأصوات: ١١٩.

(١٢) يُنظر: نهاية المرام: ١/ ٥٦٤.

(١٣) يُنظر: المدخل إلى علم أصوات العربيَّة: ١٨.

(١٤) دراسة الصوت اللغويّ: ١٠، ويُنظر: علم الأصوات: ١٢١، واللغة العربيَّة معناها ومبناها: ٣٥، ومنهج البحث اللغويّ بين التراث وعلم اللغة الحديث: ٥٩.

(١٥) نهاية المرام: ١/ ٥٧٢.

(١٦) التلزز: الشدَّة والإلصاق. يُنظر: لسان العرب: ٥/ ٤٠٤ (ل ز ز).

(١٧) نهاية المرام: ١/ ٥٧٢.

(١٨) يُنظر: الأصوات اللغويَّة ٢٣.

(١٩) المدخل إلى علم أصوات العربيَّة: ٥٩.

(٢٠) يُنظر: دراسة الصوت اللغويّ: ١٢.

(٢١) نهاية المرام: ١/ ٥٧٣.

(٢٢) يُنظر: المصدر نفسه: ١/ ٥٧٧.
(٢٣) يُنظر: الأصوات اللغويَّة (اثنين): ٢٦، والمدخل إلى علم أصوات العربيَّة: ٧٥.
(٢٤) يُنظر: المدخل إلى علم أصوات العربيَّة: ٧٦.
(٢٥) المصدر نفسه: ٧٥.
(٢٦) نهاية المرام: ١/ ٥٧٩.
(٢٧) المصدر نفسه: ١/ ٥٧٩.
(٢٨) يُنظر: سرّ صناعة الإعراب: ١/ ٣٠.
(٢٩) التفكير الصوتيّ عند العرب في ضوء سرِّ صناعة الإعراب: ٦٦ (بحث).
(٣٠) يُنظر: الدراسات اللهجيَّة والصوتيَّة عند ابن جنِّيّ: ٣٢٥.
(٣١) نهاية المرام: ١/ ٥٨٢.
(٣٢) المصدر نفسه: ١/ ٥٨٠.
(٣٣) سرّ صناعة الإعراب: ١/ ١٩٧.
(٣٤) الاقتصاد اللغويّ في صياغة المفرد: ٥٠.
(٣٥) نهاية المرام: ١/ ٥٨٢.
(٣٦) الأصول في النحو: ٢/ ٣٨٨.
(٣٧) شرح شافية ابن الحاجب: ٢/ ٢٥١، ويُنظر: الخصائص: ١/ ٩٢.
(٣٨) أسس علم اللغة: ٩٩.
(٣٩) المقطع الصوتيّ في العربيَّة: ٧٩.
(٤٠) نهاية المرام: ١/ ٥٧٧.
(٤١) المصدر نفسه: ١/ ٥٧٧.
(٤٢) يُنظر: كتاب سيبويه: ٤/ ١٧٦، والمقتضب: ١/ ٢١٠.
(٤٣) نهاية المرام: ١/ ٥٨٢.
(٤٤) كتاب سيبويه: ٤/ ٤٣٦.
(٤٥) يُنظر: التقاء الساكنين والتخلُّص فيه من ضوء نظريَّة المقطع الصوتيّ: ٦٨.
(٤٦) سرّ صناعة الإعراب: ١/ ٨.
(٤٧) يُنظر: علم الأصوات: ٢١٨، المدخل إلى علم أصوات العربيَّة: ١٦٨.
(٤٨) نهاية المرام: ١/ ٥٨٣.
(٤٩) يُنظر: الخصائص: ١/ ١٥٤، والمقتصد في شرح الإيضاح: ١/ ١٤٦، وهمع الهوامع: ١/ ٧٣.

(٥٠) يُنظر: اللغة العربيَّة معناها ومبناها: ٢٩٥، وعلم الأصوات: ٤٢٧، وقوة الصوت عند القدماء في ضوء علم اللغة الحديث: ٢٢٩ (بحث).

(٥١) يُنظر: نهاية المرام: ١/ ٥٨٣.

(٥٢) شرح شافية ابن الحاجب: ١/ ١١٨.

(٥٣) يُنظر: أبحاث في أصوات العربيَّة: ٧، والمقطع الصوتيّ في العربيَّة: ٥٦.

(٥٤) نهاية المرام: ١/ ٥٨٣.

(٥٥) المصدر نفسه: ١/ ٥٨٣.

(٥٦) يُنظر: المصدر نفسه: ١/ ٥٨٤.

(٥٧) يُنظر: سرّ صناعة الإعراب: ١/ ٣١.

(٥٨) يُنظر: الدراسات الصوتيَّة عند علماء التجويد: ٤٩٥، والمقطع الصوتيّ في العربيَّة: ٥٦.

(٥٩) نهاية المرام: ١/ ٥٨٥.

(٦٠) المصدر نفسه: ١/ ٥٨٥.

(٦١) يُنظر: المصدر نفسه: ١/ ٥٨٦.

(٦٢) المصدر نفسه: ١/ ٥٨٦.

(٦٣) المصدر نفسه: ١/ ٥٨٧.

(٦٤) اللغة العربيَّة معناها ومبناها: ٢٩٦.

(٦٥) المدخل إلى علم أصوات العربيَّة: ١٩٧.

(٦٦) نهاية المرام: ١/ ٣٢٥.

(٦٧) يُنظر: الأصوات اللغويَّة (أنيس): ١٣١، والمنهج الصوتيّ للبنية العربيَّة: ٣٨، ودراسة الصوت اللغويّ: ٢٤٢، والمدخل إلى علم أصوات العربيَّة: ٢١٠.

(٦٨) نهاية المرام: ١/ ٣٢٦.

(٦٩) يُنظر: المقطع الصوتيّ في العربيَّة: ٣٢٦.

(٧٠) نهاية المرام: ١/ ٣٢٦.

(٧١) يُنظر: المصدر نفسه: ١/ ٣٢٦.

(٧٢) يُنظر: المقطع الصوتيّ في العربيَّة: ١٤.

روافد البحث

الكتب

١. أبحاث في أصوات العربيَّة: د. حسام سعيد النعيميّ، دار الشؤون الثقافيَّة العامَّة، بغداد، ١٩٨٨م.

٢. أسس علم اللغة: ماريو باي، ترجمة: د. أحمد مختار عمر، منشورات جامعة طرابلس، كليَّة التربية، ١٩٧٢م.

٣. الأصوات اللغويَّة: د. إبراهيم أنيس، ط٤، ملتزمة الطبع والنشر: مكتبة الأنجلو المصريَّة، القاهرة، ١٩٧١م.

٤. الأصول في النحو: ابن السرَّاج (ت ٣١٦هـ)، تحقيق: د. عبد الحسين الفتليّ، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

٥. الأعلام: خير الدين الزركليّ، ط٥، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٨٠م.

٦. أعيان الشيعة: السيِّد محسن الأمين (ت ١٣٧١هـ) تحقيق وتخريج: حسن الأمين، دار التعارف، بيروت، لبنان، د.ت.

٧. الاقتصاد اللغويّ في صياغة المفرد: د. فخر الدين قباوة، ط١، مكتبة لبنان- ناشرون، الشركة المصريَّة العالميَّة للنشر، ٢٠٠١م.

٨. التقاء الساكنين في ضوء نظريَّة المقطع الصوتيّ: د. صباح عطيوي عبُّود، ط١، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

٩. التطوُّر النحويّ للغة العربيَّة: برجستراسر، أخرجه وصحَّحه وعلَّق عليه: د. رمضان عبد التوَّاب، مكتبة الخانجيّ، دار الرفاعيّ بالرياض، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

١٠. الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جنِّيّ (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق: محمَّد عليّ النجَّار، ط٤، دار الشؤون الثقافيَّة، بغداد، ١٩٩٠م.

١١. الدراسات الصوتيَّة عند علماء التجويد: د. غانم قدُّوري الحمد، ط١، مطبعة الخلود، بغداد، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

١٢. الدراسات اللهجيَّة والصوتيَة عند ابن جنِّيّ: د. حسام سعيد النعيميّ، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠م.

١٣. دراسة الصوت اللغويّ: د. أحمد مختار عمر، ط١، عالم الكتب، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.
١٤. رجـال ابن داوود: ابن داوود الحِـلِّيّ (ت ٧٤٠ هـ)، تحقيق وتقديم: السـيِّد محمَّد صادق آل بحر العلوم، المطبعة الحيدريَّة، النجف الأشرف،١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.
١٥. سرُّ صناعة الإعراب: ابن جنِّيّ، تحقيق: مصطفى السقَّا ومحمَّد الزفزاف وإبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، ط١، مصطفى البابي الحلبيّ وأولاده بمصر، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م.
١٦. شرح شـافية ابـن الحاجـب: رضيِّ الدين الأسـترآباديّ (ت ٦٨٦هـ)، محمَّد نور الحسـن ومحمَّد الزفزاف ومحمَّد محيي الدين عبد الحميد، ط١، مطبعة حجازي، القاهرة، ١٩٣٩م.
١٧. علم الأصوات: د. كمال بِشر، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة.
١٨. كتاب سيبويه: أبو بِشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه (ت ١٨٠هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون،ط٢، مكتبة الخانجيّ ودار الرفاعيّ بالرياض، ١٤٠٢هـ/ ١٩٧٢م.
١٩. لسان العرب: محمَّد بن مكرم ابن منظور الأنصاريّ (ت ٧١١هـ)، نشر: أدب الحوزة، قم، إيران، ١٤٠٥هـ.
٢٠. لسان الميزان: ابن حجر (ت ٨٥٢هـ)، ط٢، مؤسَّسة الأعلميّ، بيروت، لبنان، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م.
٢١. اللغة العربيَّة معناها ومبناها: تمَّام حسَّان، ط٢، الهيأة المصريَّة العامَّة للكتاب، ١٩٧٩م.
٢٢. المدخـل إلى علم أصـوات العربيَّة: د. غانم قدُّوري الحمد، منشـورات المجمـع العلميّ، مطبعة المجمع العلميّ، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
٢٣. المقتصـد في شرح الإيضاح: عبد القاهـر الجرجانيّ (ت ٤٧١ هـ)، تحقيق: د. كاظم بحر المرجان، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٢م.
٢٤. المقتضـب: أبـو العبَّاس المـبرِّد (ت ٢٨٥هــ)، تحقيق: محمَّد عبـد الخالق عضيمة، عـالم الكتب، بيروت.
٢٥. المقطـع الصوتيّ في العربية: د. صباح عطيوي عبُّـود، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمَّان، ط١، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.
٢٦. مناهج البحث في اللغة: د. تمَّام حسَّان، ط٢، دار الثقافة/ الدار البيضاء، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.
٢٧. منهـج البحـث اللغويّ بـين التراث وعلم اللغـة الحديث: د. عـليّ زوين، دار الشـؤون الثقافيَّة العامَّة، بغداد، ١٩٨٦م.
٢٨. المنهج الصوتيّ للبنية العربيَّة: د. عبد الصبور شاهين، مؤسَّسة الرسالة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
٢٩. موسـوعة طبقـات الفقهـاء: اللجنة العلميَّة في مؤسَّسـة الإمـام الصـادق عليه السلام، إشراف: جعفر السبحانيّ، ط١، مطبعة اعتماد، قم، ١٤١٨هـ.

٣٠. نهاية المرام في علم الكلام: العلَّامة الحِلِّيّ حسن بن يوسف (ت ٧٢٦هـ)، تحقيق: فاضل العرفان، ط٢، مؤسَّسة الصادق عليه السلام، ١٣٨٨هـ.
٣١. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: جلال الدين السيوطيّ (ت ٩١١هـ)، تحقيق وشرح: د. عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلميَّة، الكويت، ١٤٠٠هـ.
٣٢. الوافي بالوفيات: الصفديّ (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

البحوث

٣٣. التفكير الصوتيّ عند العرب في ضوء سرِّ صناعة الإعراب: د. هنري فليش، ترجمة: عبد الصبور شاهين، مجلَّة مجمع اللغة بمصر، ج٢٣، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.
٣٤. قوَّة الصوت عند القدماء في ضوء علم اللغة الحديث: د. صباح عطيوي عبُّود، مجلَّة التربية والعلم، العلوم الإنسانيَّة والتربويَّة، م١٩، ع٢، ٢٠١٢م.